دينامية الأنشطة غير الفلاحية بالمجالات الجبلية: دراسة ميدانية لجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

The Dynamics of Non-Agricultural Activities in the Mountain Areas: A Field Study of Sidi El Makhfi and Tigrigra

يوسف عاشي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي اسماعيل مكناس، المغرب

تاريخ الاستلام: 25 /2020/10 تاريخ القبول: 03 /2020/11 تاريخ النشر: 10 /2020/12

ملخص:

ينصب هذا المقال في دراسة واقع ودينامية الأنشطة غير الفلاحية ومسألة التنمية الترابية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة، حيث عرفت الجماعتان تحولات سوسيومجالية عميقة ساهمت في تراجع نظام الانتجاع، والانتقال إلى الاستقرار وتكثيف الأنشطة الزراعية والاتجاه نحو الاعتماد على الأنشطة غير الفلاحية، التي أصبحت تفرض نفسها كبديل اقتصادي واجتماعي وكمدخل أساسي لتحقيق التنمية الترابية، في ظل تزايد الضغط على الموارد الترابية، وذلك في إطار بحث الساكنة المحلية عن أشكال جديدة لتدبير مواردها والتكيف مع التحولات التي فرضتها الظروف الراهنة المتسمة بانفتاح المجالات الجبلية وهيمنة اقتصاد السوق وتدفق الاستثمارات، وكذلك البحث عن أشكال التكيف مع الظروف المناخية المتسمة بندرة المياه وهشاشة الأوساط الطبيعية.

كلمات مفتاحية: الأنشطة غير الفلاحية، أشكال التكيف، التنمية الترابية، المجالات الجبلية.

Abstract:

This article focuses on the study of the reality and dynamics of non-agricultural activities and the territorial development in Sidi El Makhfi and Tigrigra, these two communities having experienced profound socio-spatial transformations, which have contributed the decline of transhumance, and the transition to stability and intensification of agricultural activities, and the tendency to rely on non-agricultural activities. The latter have become an economic and social alternative, and a support for territorial development given the increasing pressure on territorial resources, as part of the local population's search for new forms of management of its resources and adaptation to transformations. imposed by the current conditions characterized by the openness of mountain areas, the domination of the market economy and investment flows, as well as the search for forms of adaptation to climatic conditions characterized by water scarcity and the fragility of natural environments.

Keywords: non-agricultural activities; forms of adaptation; territorial development; mountain areas.

المؤلف المرسل: يوسف عاشي، الإيميل: youssefachi1992@gmail.com

1. مقدمة:

عرف المجال الجغرافي المغربي تحولات عميقة ومتسارعة خلال العقود الأخيرة في مختلف الجوانب الطبيعية والبشرية، وشهدت المجالات الجبلية ديناميات همت أساليب الإنتاج والبنيات العقارية وأشكال تنظيم المجال واستغلال الموارد الطبيعية، وقد شكلت مجتمعة عاملا حاسما في بلورة المعالم الجديدة للعالم القروي (جنان لحسن، 2010، ص: 21). ويرتكز نمط عيش الساكنة بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة على فلاحة تقليدية تزاوج بين ممارسة الأنشطة الرعي الزراعية والأنشطة غير الفلاحية كعناصر متكاملة ترتبط بالتحولات المجالية التي تعرفها المجالات الجبلية المنفتحة على نظام الإنتاج الرأسمالي، وعلى وسائل وأساليب وتقنيات حديثة ومرتبطة بفاعلين جدد بفعل استقطاب المجال لاستثمارات جيل جديد من المنتجين وبتدخلات الدولة عن طريق مشاريع قطاعية وأخرى مندمجة. ونتج عن هذه التحولات بلورة ملامح جديدة للمجال، وتكريس استقرار السكان على حساب الانتجاع، وظهور أشكال جديدة للتكيف تعتمد على التدبير الفردي للموارد وعلى تعدد الأنشطة الاقتصادية، مما أدى إلى اختلالات سوسيومجالية من خلال اختلال العلاقة بين السكان والموارد من جهة والضغط على الموارد الطبيعية من جهة أخرى. وفي هذا الإطار برزت الأنشطة غير الفلاحية كمكون أساسي في البنية الاقتصادية لجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة، وذلك أمام عدم قدرة القطاع الفلاحي بمختلف عناصره على إدماج وضمان الدخل وفرص الشغل للساكنة المحلية خاصة في ظل تزايد الضغط على الموارد الترابية وإكراهات التغيرات المناخية. لهذا أصبحت الأنشطة غير الفلاحية تشكل مدخلا للتنمية الترابية، ويراهن عليها اليوم للمساهمة في الرقي بمستوى التنمية من خلال خلق فرص الشغل وضمان التوازن بين السكان والموارد الترابية المتوفرة والحد من مسلسل الهجرة القروية.

تتمحور إشكالية هذا المقال حول كشف عن مدى مساهمة الأنشطة غير الفلاحية في التنمية الترابية، ومدى قدرتها على إدماج سكان المجالات الجبلية في المنظومة الاقتصادية الريفية، وتحليل العناصر المرتبطة بها انطلاقا من تحليل المعطيات الإحصائية الميدانية وباستعمال مقاربة جغرافية منفتحة ومتعددة الأبعاد، وذلك بالاعتماد على منهجية وصفية تحليلية وتركيبية.

وقد ارتكز العمل الميداني على مقاربة كمية مبنية على ملء استمارات ميدانية كانت موجهة لعينة عشوائية شملت 10 ٪ لأربعة دواوير من مجال الدراسة، وقد راعينا في اختيار العينة مسألة التمثيلية لضمان تساوي احتمالات السحب.

ولمقاربة هذه الإشكالية، يمكن الانطلاق من السؤال التالي:

- كيف تساهم دينامية الأنشطة غير الفلاحية باعتبارها بديلا اقتصاديا واجتماعيا في التنمية الترابية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة ؟

ولمعالجة هذا الإشكال، سننطلق من الفرضيات التالية:

- تشكل الأنشطة غير الفلاحية بديلا اقتصاديا في ظل تأزم القطاع الفلاحي بالمجالات الجبلية
- يمكن للأنشطة غير الفلاحية أن تقلص من الضغط على الموارد الطبيعية
- تساهم دينامية الأنشطة غير الفلاحية في التنمية الترابية للمجالات الجبلية

2. الإطار الطبيعي والبشري لجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

1.2 تنوع الخصائص الطبيعية لجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

ينتمي مجال الدراسة إلى الأطلس المتوسط، وتحديدا بالجزء الشمالي الغربي للأطلس المتوسط الأوسط، ويمتد فوق مجالين طبيعيين مختلفين: كوص الأطلس المتوسط الغربي والمنخفض الشمالي الشرقي للهضبة الوسطى، هذه الوضعية الانتقالية جعلته مجالا مهما بين كوصي

الحاجب وإفران شمالا، هضبة أزرو وكوص عين اللوح جنوبا، مشكلا حوضا يتدرج من 700 م إلى 2165م (حسن الكتمور،2001، ص52) ويوازي هذ التدرج الطبوغرافي تدرج بيوماخي من الرطب في العالية إلى الشبه رطب المعتدل في السافلة. ويقع مجال الدراسة في تقاطع الطريقين الوطنيتين رقم 8 و 13، وينفتح كذلك على مدينتين تقليديتين هما فاس ومكناس. أما من حيث التقسيم الإداري فإنه ينتمي إلى إقليم إفران بجهة فاس مكناس.

خريطة رقم 1: توطين جماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

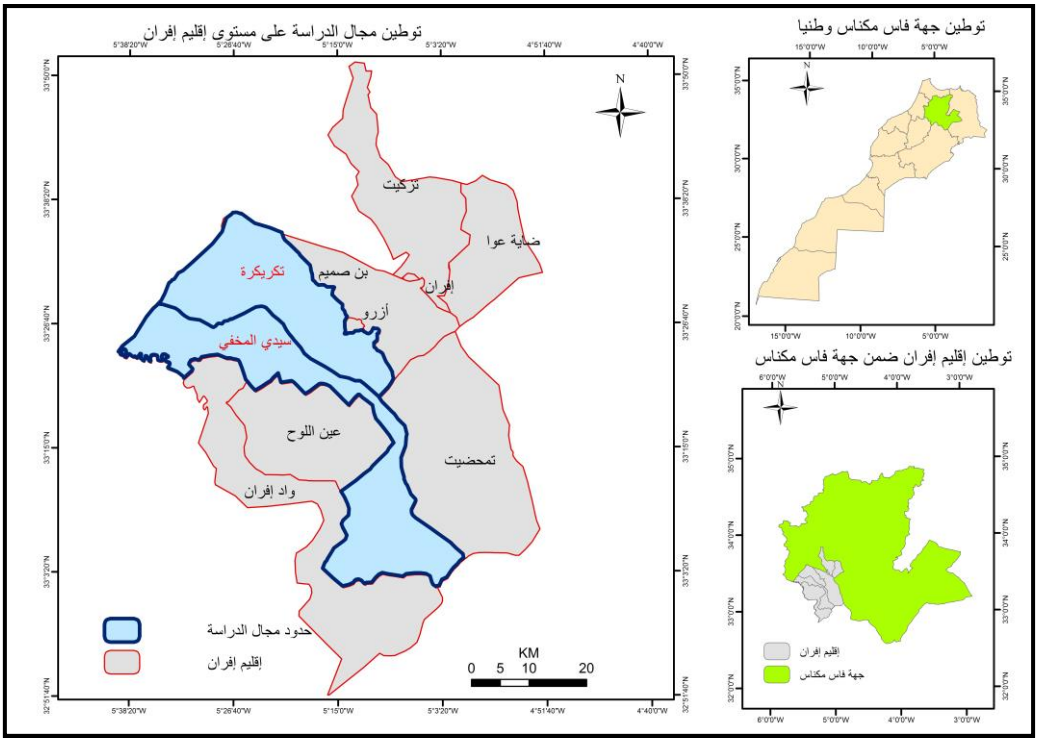

إنجاز: يوسف عاشي بالاعتماد على خريطة التقسيم الإداري للمغرب 2015

ويشكل مجال الدراسة امتدادا طبوغرافيا متباينا، هذا التباين الذي طبع تطوره الجيولوجي، فالتشكيلات الجيولوجية السائدة بمجال الدراسة معقدة البنية ومتباينة الصلابة، ويغلب عليها البازلت الرباعي والكلس الليلسي والكلس الدولوميتي والدولومي الليلسي (Qadem, A., 2015, p : 53.)، وتغطي طبقات الدولومي الليلسي والكلس الدولوميتي مساحات شاسعة خاصة بكوصات الحاجب وإفران وأزرو وعين اللوح المشرفة على المجال المدروس، ويسهل تمييزها بالمجال بفعل لونها الفاتح (Martin, J., 1981, p : 28) .

وعلى المستوى الهيدروغرافي، يعتبر الأطلس المتوسط من أغنى المجالات بالموارد المائية، ويرتبط سوء توزيعها بالمناخ والصخارة والبنية الجيولوجية المتنوعة. يستقبل هذا المجال حوالي 500 إلى أكثر من 1000 ملم من التساقطات سنويا ويتسرب منها ما يقارب 40 ٪، بفعل وجود طبقة من الكلس والدولوميت الليلسي النافذ على طبقة من الطين والطين الترياسي غير النافذ، ويشكل الماء المتسرب فرشاة مائية بين الطبقتين (Kerbout. M, 1983, p: 91).

أما الظروف المناخية السائدة في هذا المجال، فترتبط بعامل الارتفاع، فأهمية الكتل الجبلية تخلق اختلافات أروغرافية مع مناطق الهامش، فضلا عن توجيهها أمام المؤثرات المحيطية. ومنه يمكن تحديد مجالين مناخيين: الجبال المتوسطة الممثلة بالأجزاء المرتفعة للهامش الشمالي الشرقي للهضبة الوسطى وهامش الأطلس المتوسط الأوسط المرتفع، هذه الوضعية منحت المجالات مناخا محليا خاصا تشكل فيه

الأجزاء المرتفعة مناطق باردة، أما جفاف الصيف فتدفع فلاحي الدير والمنخفضات البيجبلية إلى اللجوء للسقي خلال هذه الفترة التي يضطر خلالها مربو الماشية إلى إرسال قطعانهم إلى المراعي الجبلية المرتفعة.

2.2 استقرار قديم لقبائل بني مكيلد بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

يستوطن مجال الدراسة قبيلتي آيت عبدي وإركلاون، وينتميان إلى اتحادية بني مكيلد التي تعود أصولها إلى الحركات السكانية الصنهاجية والزناتية القادمة من الجنوب الشرقي، وارتبط استقرارها بوضعية المغرب أنداك وبوفرة الموارد الطبيعية وطبيعة نمط العيش المعتمد على الانتجاع.

مبيان رقم 1: تطور الساكنة بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة بين 1971 و2014.

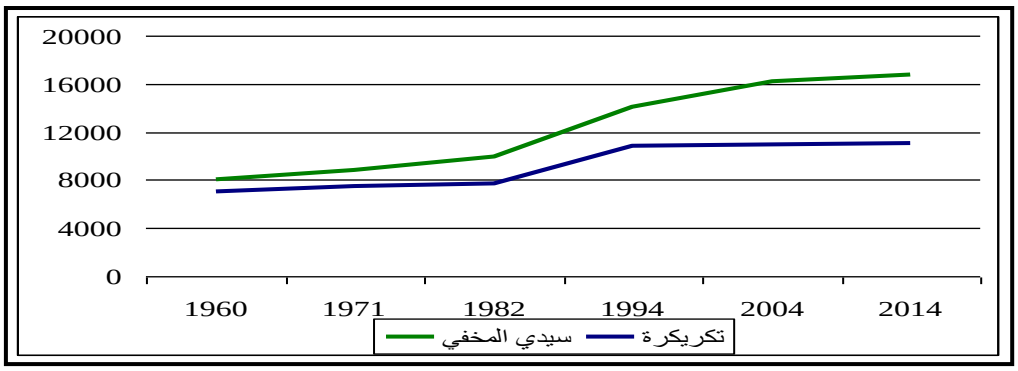

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى: 1960، 1971، 1982، 1994، 2004، 2014.

وكما هو الشأن بالنسبة لأرياف الأطلس المتوسط الأوسط، فإن عدد سكان جماعتي سيدي المخفي وتكريكرة ظل محدودا إلى حدود الثمانينات. فحسب إحصاء 2014 بلغ عدد سكانهما 27740 نسمة، وهو ما يشكل 19.3٪ من سكان إقليم إفران (153771). حيث بلغ عدد سكان جماعة سيدي المخفي 16229 سنة 2004 مسجلا زيادة تقدر ب 1.5٪، لتنتقل إلى 16709 نسمة سنة 2014، مسجلة ارتفاعا طفيفا يقدر ب 0.29٪ .أما جماعة تكريكرة فقد انتقل عدد سكانها من 10894 نسمة سنة 2004 إلى 11038 نسمة سنة 2014 بنسبة 0.13٪. وهي نسبة زيادة ضعيفة مقارنة بالمغرب القروي الذي تصل فيه نسبة التزايد الديموغرافي إلى 1.5٪.

خريطة رقم 2: تدرج الارتفاعات بالمتر وتوزيع البنيات التحتية والمرافق الاجتماعية والعمومية

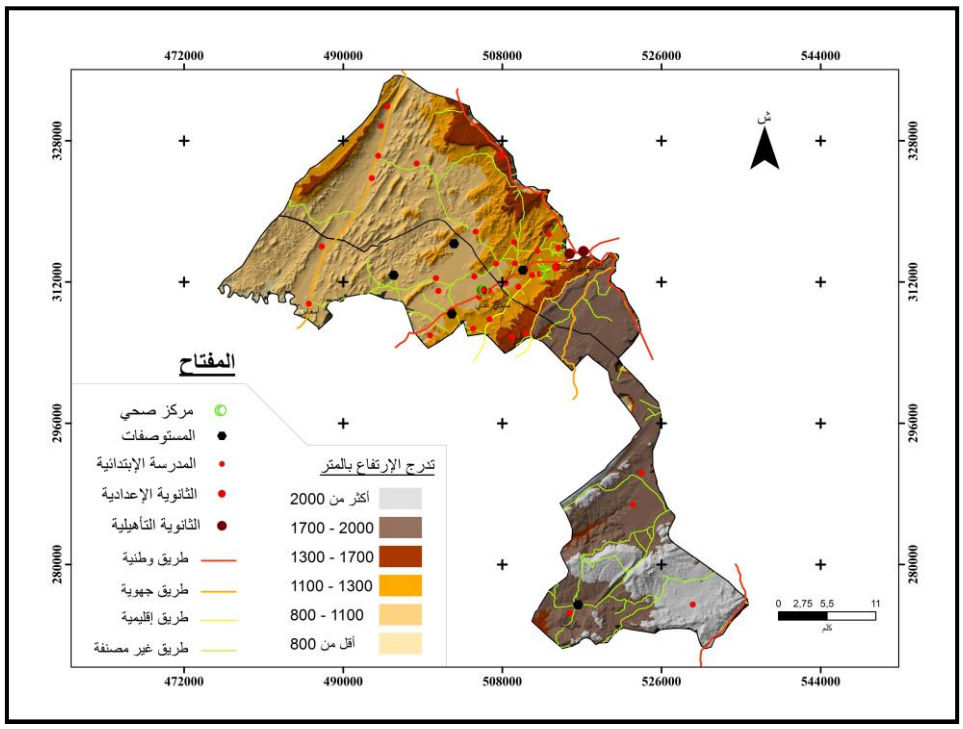

إنجاز: يوسف عاشي بالاعتماد على النموذج الرقمي لارتفاعات الأرض

3. دينامية الاقتصاد المحلي: الانتقال نحو الأنشطة غير الفلاحية

1.3 دينامية الاقتصاد المحلي بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

لم يعد الأطلس المتوسط يشكل أرضا رعوية كما جاء في العديد من الدراسات المتعلقة بهذا المجال، بل هناك العديد من التحولات التي طبعت مشهده الجغرافي، من خلال الاتجاه نحو المزاوجة بين نشاطي الرعي وتكثيف الأنشطة الزراعية، مما يعكس بشكل جلي التحولات التي يعرفها هذا المجال الذي يتجه أكثر فأكثر نحو عصرنة الأساليب المتبعة التي عرفت تطورا مهما من خلال الاعتماد على الإسطبلات والأعلاف بدل التنقل بين الجبل وأزغار، وتعميق مسلسل استقرار السكان على حساب التنقل (الانتجاع) (جنان لحسن، 2010، ص: 21)، أما نمط العيش المعتمد على الانتجاع فيختفي تدريجيا بل عرف تحولا عميقا من خلال استعمال وسائل المواصلات والاستفادة من تطور البنيات التحتية. وفي هذا الإطار عرفت زراعة الحبوب والأعلاف والورديات والخضروات تطورا ملحوظا بالمجال، على امتداد الدير والمنخفضات البيجبلية لهذه المنطقة (الكتمور حسن، 2004، ص: 130). ويندرج تطور هذه الزراعات في إطار التحولات التي تعرفها المجالات الجبلية، ويسجل الانتقال الاقتصادي المتعلق باستغلال وتنظيم المجال بالأطلس المتوسط بالمرور من المزواجة بين الرعي الواسع والزراعة المعاشية التي تسودها زراعة الحبوب، نحو الاعتماد على تعدد الأنشطة من خلال الجمع بين الأنشطة الفلاحية وغير الفلاحية، لضمان مدخول إضافي في ظل تأزم أوضاع المجالات الجبلية.

مبيان رقم 2: نسبة المزاوجة بين تربية الماشية والأنشطة الزراعية

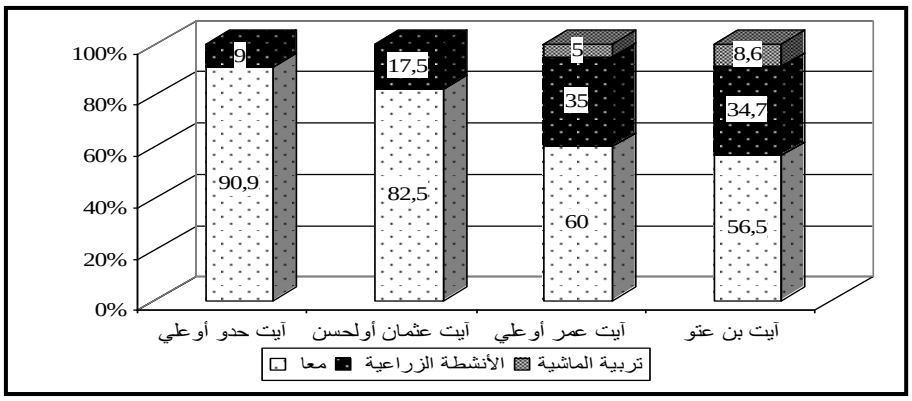

المصدر: العمل الميداني، مارس 2018

مبيان رقم 3: نسبة الفلاحين المتوفرين على الإسطبلات

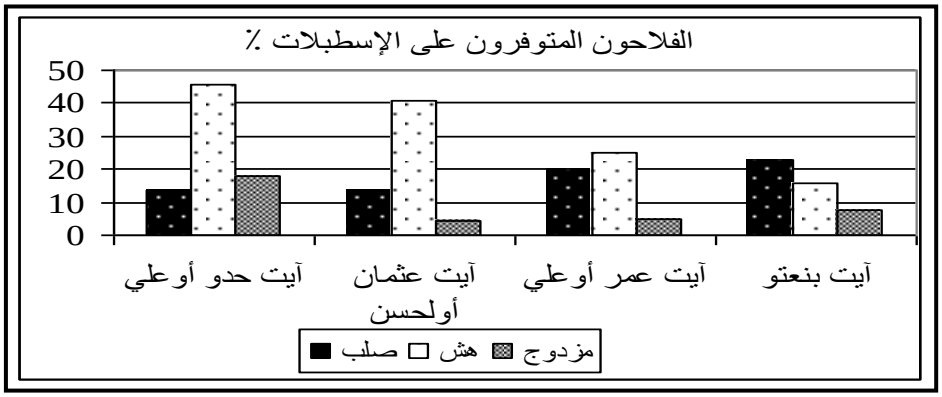

المصدر: العمل الميداني، مارس 2018

نلاحظ أهمية الاعتماد على الأنشطة الرعي زراعية وذلك لاعتبارها النشاط الرئيسي لساكنة المنطقة، فنسبة المعتمدين على النشاط الرعي زراعي تتجاوز 80٪ بدواري آيت حدو أوعلي وآيت عثمان أولحسن، لكن تختلف الأمور بدواري آيت عمر أوعلي وآيت بن عتو حيث نسبة قليلة تعتمد على الأنشطة الرعوية فقط، كما يلاحظ نزوع نحو الأنشطة الزراعية، كما أدى تكثيف الزراعات خاصة الأشجار المثمرة التي أصبحت تكتسح المشهد الزراعي للمجال بفعل تدخلات الساكنة المحلية والرأسمال الخاص والدولة في التهيئة الزراعية ورسم معالم جديدة للمجال. أما نظام الانتجاع فقد عرف تراجعا ملحوظا في العقود الأخيرة لصالح الاستقرار والاتجاه نحو الاعتماد على الأنشطة الزراعية والاكتفاء بتربية الماشية ببعض الهوامش وداخل الإسطبلات والتركيز أكثر على النوع بدل الكم، مما سبب في تراجع حجم القطيع.

2.3 الأنشطة غير الفلاحية بديل اقتصادي واجتماعي للساكنة القروية

إن ظاهرة تعدد أنشطة الأسر القروية، وانتشار الأنشطة غير الفلاحية بالعالم القروي، أضحى واقعا ملموسا يتعين أخذه بعين الاعتبار في تحليل مظاهر وآليات تحول البوادي، من جهة، وفي الإستراتيجيات والمشاريع الجديدة للتنمية من جهة ثانية، وتبدو حاليا بالنظر إلى أهميتها وطبيعتها كجواب اقتصادي واجتماعي وبيئي لأوضاع ديموغرافية واقتصادية واجتماعية يعرفها العالم القروي (جنان لحسن، 2010، ص: 23)، فأمام العجز الذي أمسى عليه القطاع الفلاحي غير القادر على استيعاب ودمج كل الموارد البشرية التي تدير مختلف

أشكال الإنتاج الفلاحي، لجأ السكان إلى نهج استراتيجية تمكنهم من تلبية حاجياتهم الأساسية (بوهلال عبد السلام، 2006، ص: 186)، لذا أصبح تعدد الأنشطة غير الفلاحية حقيقة العالم القروي المغربي (Jennan, 1996, p : 10).

مبيان رقم 4: بنية وتوزيع الأنشطة الفلاحية وغير الفلاحية.

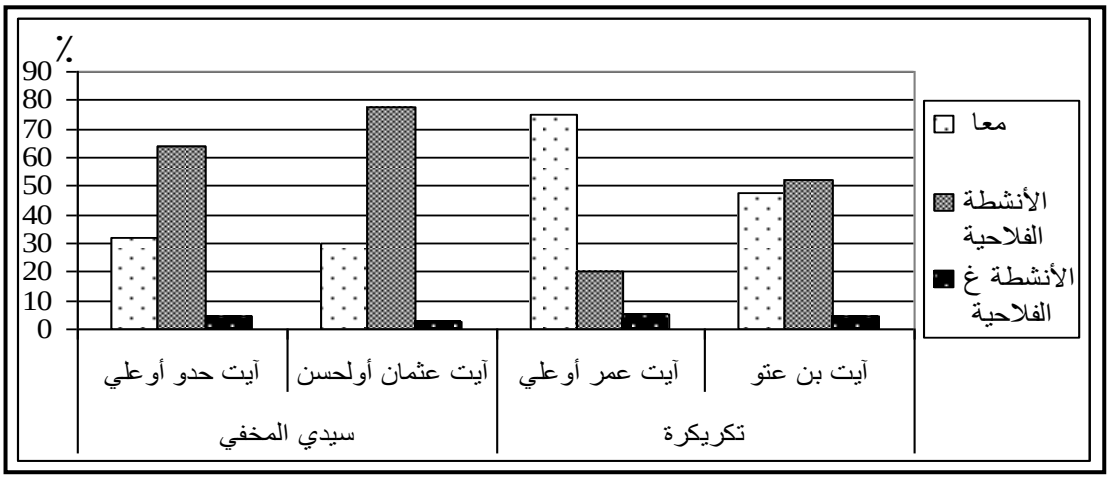

المصدر: العمل الميداني، مارس 2018.

مبيان رقم 5: بنية الأنشطة غير الفلاحية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

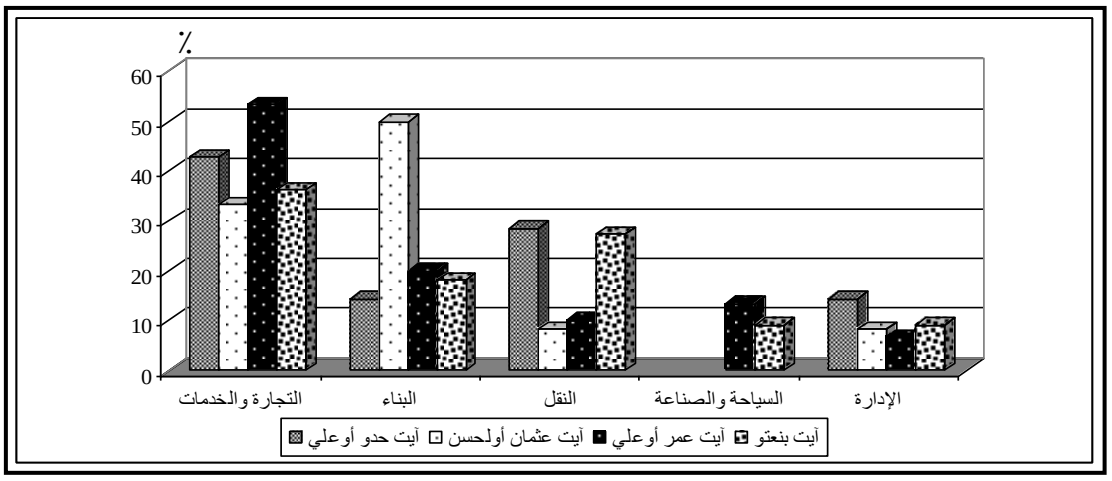

المصدر: العمل الميداني، مارس 2018.

يلاحظ من خلال المبيان تعدد أنشطة الأسر التي تزاوج بين الأنشطة الفلاحية والأنشطة غير الفلاحية خاصة بالدواوير التابعة لجماعة تكريكرة المنفتحة أكثر على المراكز الحضرية حيث انتشار ظاهرة الأنشطة غير الفلاحية خاصة التجارة والنقل، وهذا ما يفسر التحولات السوسيواقتصادية التي يعرفها المجال الذي أصبح تحت تأثير مدينة أزرو التي تساهم في هيكلة هذا المجال. وتشغل الأنشطة غير الفلاحية 17 ٪ من مجموع ساكنة جماعتي سيدي المخفي وتكريكرة، وترتبط أهمية استقطاب الأنشطة غير الفلاحية لليد العاملة باعتبارات تتعلق باختلال التوازن بين حجم السكان والموارد الفلاحية. مما جعل القطاع الفلاحي عاجزا عن استيعاب الأعداد المتزايدة لليد العاملة وعن ضمان عيش الأسر القروية وتشغيل الساكنة، والتي وجدت ضالتها في الهجرة الدولية والوظيفة العمومية إضافة إلى الانخراط في الجندية، وبعض الأنشطة الصناعية والحرفية والتجارية والخدماتية. كما تتضح أهمية الأنشطة غير الفلاحية في الدواوير المدروسة مع تسجيل تباين توزيعها، حيث هيمنة نشاط التجارة بآيت عمر أوعلي الذي يعتمد على المحور الطرقي وقربه من مدينة أزرو، وحضور مهم لقطاع

البناء خاصة لدى آيت عثمان أولحسن .ويمكن تفسير ذلك بطبيعة الساكنة التي لا تتوفر على الأرض لكونها تتكون في أغلبها من المهاجرين القادمين من المناطق المجاورة .

4. توزيع الأنشطة غير الفلاحية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

1.4 ضعف الصناعة الخشبية

ضع النتائج المتحصل عليها هنا، بدء بتلخيص وتحليل المعطيات المتحصل عليها ذات الصلة بموضوع البحث. مع تقديم تفسير لهذه النتائج خاصة ما تعلق بالفرضيات المطروحة ومدى صحتها. إن موقع مجال الدراسة بالأطلس المتوسط الغربي جعله يستفيد من موارد غابوية مهمة، وتضم جماعتي سيدي المخفي وتكريكرة حوالي 20000 هكتار، يغلب عليها كل من البلوط الأخضر وبلوط الزان والصنوبر والأرز. وعلى مستوى إقليم إفران يمثل الاستغلال الغابوي 50٪ من مجموع الاستغلال الغابوي بالمغرب من خشب التصنيع (شتو فضيلة وحمجيق محمد، 2014، ص: **142**)، لذا تشكل موردا اقتصاديا مهما سواء بالنسبة للساكنة المحلية أو بالنسبة للجماعة الترابية. إذ تتواجد المنشرات على طول المحاور الطرقية بمجال الدراسة، وتتواجد بتكريكرة 4 منشرات تشغل حوالي 50 عاملا، أما جماعة سيدي المخفي فتتوفر على منشرتين فقط.

لذا يساهم هذا القطاع في تشغيل يد عاملة مهمة سواء داخل القسمات الغابوية فيما يخص عملية القطع والشحن والنقل أو داخل المنشرة، وتنحدر اليد العاملة المشغلة من الجماعتين ومن المناطق المجاورة، ويعتبر دور اليد العاملة مهما في جميع مراحل الإنتاج. إلا أن أهمية هذا القطاع عرفت تراجعا في السنوات الأخيرة نظرا لتراجع إنتاجية الغابة وتزايد الضغط عليها من طرف الساكنة والرعاة للبحث عن الكلأ وحطب التدفئة إضافة إلى تزايد استعمال مواد أخرى (البلاستيك، الألومينيوم...) عوض الخشب.

2.4 تراجع نشاط المقالع

عرف نشاط المقالع تراجعا ملحوظا خاصة على مستوى جماعة تكريكرة والتي تتوفر على 4 مقالع لاستخراج الرمال توقف نشاط 3 منها في السنوات الأخيرة، وعلى مقلعين للرخام، أما جماعة سيدي المخفي فقد توقف نشاط جل المقالع المتواجدة بها، أما بخصوص اليد العاملة المستخدمة في مجموع هذه المقالع فلا تتجاوز 10 عمال، وبالتالي فالمقالع ليس لها تأثير سوسيواقتصادي على هذا المجال، كما هو الحال للصناعة الخشبية التي تستخدم 80 ٪ من اليد العاملة الصناعية بالجماعتين.

جدول رقم 1 : المقالع المتواجدة بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

الجماعة	تكريكرة							سيدي المخفي	
المقلع	شركة جوهرة	شركة سنيترا	مقلع اليوسفي	مقلع رزقي	مقلع شنوف	مقلع كلوبال ماربي	مقلع أشقيق	مقلع عبد الله
موقع المقلع	تيشوكت توموليلت	أداو تبادوت	آيت علا	آيت بن عتو	تيزرا	تيزرا	تاغبالوت أفود عسال	ثلاث نسنا
وضعية العقار	ملك خاص							
المواد المستخرجة	الحصى والرمال	الرمال	الرمال	الرمال	الرخام	الرخام	الرمال	الرمال
المساحة	5 هكتار	6 هكتار	3 هكتار	11 هكتار	2 هكتار	4 هكتار	5هكتار	4هكتار
وضعية الاستغلال	في طور الاستغلال	متوقف عن الاستغلال			في طور الاستغلال		متوقف عن الاستغلال	في طور الاستغلال

المصدر: عمالة إقليم إفران، 2019.

3.4 وحدات التبريد والتخزين

يعرف مجال الدراسة نقصا على مستوى وحدات التبريد وتخزين الفواكه، وتتجلى أهمية وحدات التخزين في تثمين المنتوجات والرفع من قيمتها المادية في انتظار تسويقها في الأسواق الوطنية الكبرى، من خلال تخزينها وحفظها لمدة تزيد عن 6 أشهر. وتضم الجماعتين حوالي 6 وحدات للتبريد والتخزين تلعب دورا مهما في توفير المزيد من فرص الشغل للساكنة المحلية. وتنتشر وحدات تخزين الفواكه بالضيعات الكبرى المنفتحة على المحاور الطرقية لتسهيل ولوجيتها.

إذا كانت الوحدات الصناعية المرتبطة بالتبريد والتخزين قد عرفت تطورا مهما فإن العديد من الوحدات الصناعية الأخرى قد عرف نشاطها تراجعا ملحوظا في السنين الأخيرة، خاصة المنشرات والمقالع، وتجدر الإشارة إلى أن ثلاث وحدات صناعية بجماعة تكريكرة قد توقف نشاطها، ويتعلق الأمر بمعمل الآجور بآيت يحيى أوعلا الذي بدأ نشاطه سنة 1978، وذلك لتلبية حاجيات المناطق المجاورة من خلال تزويدها بالآجور والقرميد نظرا لغياب وحدات صناعية مماثلة قريبة بالمنطقة، حيث كان يستخدم حوالي 150 عاملا، أما شركة سودورال التي أحدثت بآيت عمر أوعلي فكانت تشغل حوالي 100 عامل وعاملة، إضافة إلى وحدة صناعية أخرى تتمثل في مطاحن الدقيق الموجودة بعين أغبال (بنسي حميد، 2015، ص: 303). وتوقفت هذه الوحدات الثلاث عن العمل نظرا لمجموعة من الأسباب تتمثل في ارتفاع تكاليف الإنتاج وضعف الأرباح نتيجة سوء التدبير وتقادم الوسائل المستعملة، إضافة إلى ازدياد حجم الضرائب وتراكمها وارتفاع أجور العمال، وتضارب المصالح الشخصية. كما نسجل تراجع الصناعة المرتبطة باستعمال الصوف والجلد والتي انتقلت من مواد تستعمل في صناعة النسيج والملابس والأدوات المنزلية إلى منتوجات موجهة للسوق.

4.4 تطور الأنشطة التجارية والخدماتية

تتركز الأنشطة التجارية والخدماتية بمركز الجماعتين، وتهيمن عليها التجارة بالتقسيط، ويصل عدد التجار إلى 74 تاجرا بتكريكرة (PAC Tigrigra, 2018)، بينما يصل إلى 254 تاجرا بسيدي المخفي(PCD Sidi El Makhfi, 2013)،

فبالإضافة إلى الرواج التجاري الذي تخلقه محلات المواد الغذائية والمقاهي، ارتبط نمو الأنشطة التجارية والخدماتية بالطريق الوطنية رقم 8 وبالتحولات الحاصلة على مستوى القطاع الفلاحي. حيث تزايد عدد المحلات المرتبطة ببيع الأسمدة والأدوية والأعلاف والآلات الفلاحية خاصة بمركز جماعة سيدي المخفي، بينما لم تشهد جماعة تكريكرة نفس التطور وذلك لقربها من مدينة أزرو، كونها المزود الرئيسي للمناطق المحيطة لها. كما تتوفر جماعة سيدي المخفي على سوقين أسبوعيين، الأول بمركز سيدي عدي، والثاني بالجبل بمنطقة البقريت. ويمكن تفسير توفر الجماعة على سوقين أسبوعيين بامتدادها الجغرافي بين إقليمي الحاجب وخنيفرة وبالتالي امتداد قبائلها بين السهل والجبل وشساعة مساحتها إضافة إلى حجم سكانها. بالمقابل لا تتوفر جماعة تكريكرة على السوق الأسبوعي وذلك للأسباب التي سبق ذكرها.

وتلعب الأنشطة التجارية دورا مهما في توفير مناصب الشغل، كما تؤثر في قطاع النقل الذي يعرف انتعاشا وديناميةمهمة بفضل الحركية المتواصلة بين دواوير الجماعتين. ورغم ذلك فإن الأنشطة التجارية لا زالت تعاني من إكراهات متعددة تتمثل في غياب السوق البلدي بمركز الجماعتين، وتعدد الوسطاء إضافة إلى الهيمنة التي تمارسها مدينة أزرو على المجالات المحيطة بها.

5.4 ازدهار قطاع النقل

يعتبر النقل من مداخل التنمية الترابية، فهو يساهم في ضمان حق تنقل الساكنة ويشغل فئات متعددة كما يسوق المنتجات الفلاحية والمصنعة، ويساهم في دينامية القطاع التجاري بالمدن ويفك العزلة. فالنقل من بين سبل تنمية الأرياف، كما يساهم في تشكيل وإعادة تشكيل السكن والأنشطة تبعا للمحاور الطرقية الرئيسية (النامي زهير، 2019، ص: 5).

جدول رقم 2: نسبة تملك وسائل النقل بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

	سيارة	شاحنة	دراجة نارية	متوسط البعد عن الطريق المعبدة
سيدي المخفي	7.58	0.93	2.9	2.94
تكريكرة	10.41	1.35	5.42	1.32

Source :hcp, RGPH 2014, rgphencartes.hcp.ma

مبيان رقم 7: نسبة تملك آلية الشاحنة بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

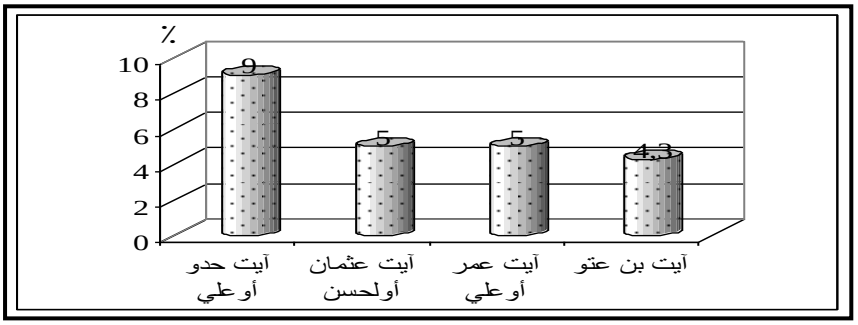

المصدر: العمل الميداني، مارس 2018.

إن موقع الجماعتين المنفتح على المحاور الطرقية والشبكة الحضرية انعكس بشكل كبير على قطاع النقل باختلاف أنواعه ومستوياته، وعلى تملك وسائل النقل، حيث يلاحظ هيمنة جماعة تكريكرة في تملك هذه الوسائل نتيجة الدينامية الفلاحية الحاصلة على مستوى هذه الجماعة، وبفعل انفتاحها على مركز أزرو حيث أهمية العلاقات المجالية. كما يزدهر قطاع النقل (سيارات الأجرة، شاحنات نقل البضائع، النقل السري...) بين أزرو والمراكز الصغرى المحيطة به وكذلك بين هذه الأخيرة والدواوير التابعة للجماعتين. مما يساهم في تشغيل نسبة مهمة من الساكنة، وينعكس على دينامية الأنشطة التجارية والخدماتية.

6.4 أهمية قطاع البناء

ارتبط نمو قطاع البناء بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة بتزايد استقرار السكان، وبتطور المراكز الصغرى (سيدي عدي، آيت يحيى أوعلا)، والتجمعات السكانية، خاصة بعد المصادقة على تصاميم التهيئة وفتح مجالات جديدة للتعمير، وكذلك بفعل استقطاب هذه المراكز للساكنة بفعل نمو وتطور وظائفها (السكن، الشغل، الخدمات، المرافق العمومية...).

7.4 ضعف الأنشطة السياحية

تراهن المناطق الجبلية على السياحة باعتبارها رافعة للتنمية المحلية، ويشكل الأطلس المتوسط الأوسط مجالا سياحيا بامتياز (حمدوني علمي اليزيد وآخرون، 2014، ص: 119)، وتزخر جماعتي سيدي المخفي وتكريكرة بتنوع الموارد الترابية التي تجمع بين تنوع المشاهد الطبيعية (طبوغرافية السطح، غابات، وديان، بحيرات) والغنى الثقافي (السكن الريفي، المهرجانات والمواسم، المنتوجات المحلية، عادات وتقاليد). فإلى جانب المناخ المتميز لهذا المجال ومؤهلاته الطبيعية، ساهم في انتشار الأنشطة السياحية بمجال الدراسة مجموعة من العوامل أهمها الموقع الجغرافي الذي تخترقه الطريق الوطنية رقم 8، الرابطة بين العاصمتين السياحيتين فاس ومراكش، والطريق الوطنية رقم 13 الرابطة بين مكناس والراشيدية، إضافة إلى انفتاحه على شبكة حضرية (أزرو، إفران، مكناس، فاس، خنيفرة...). لذا فإن الجماعتين تقعان في مجال غني على مستوى المعالم السياحية (مدينة إفران، أرز غورو، محطتي ميشليفن وهبري للتزحلق، منظر إيطو، بحيرات أمغاس).

وتمتلك الساكنة المحلية مهارات وخبرات تظهر من خلال نمط عيشها وأشكال استغلالها وتنظيمها للمجال، عبر رساتيق لمنتوجات فلاحية متنوعة، أو من خلال منتجات تقليدية ذات رونق وجاذبية أهمها: الزربية الأمازيغية الأصيلة، منحوتات خشبية، وملابس صوفية.

خريطة رقم 2: توزيع الأنشطة غير الفلاحية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة

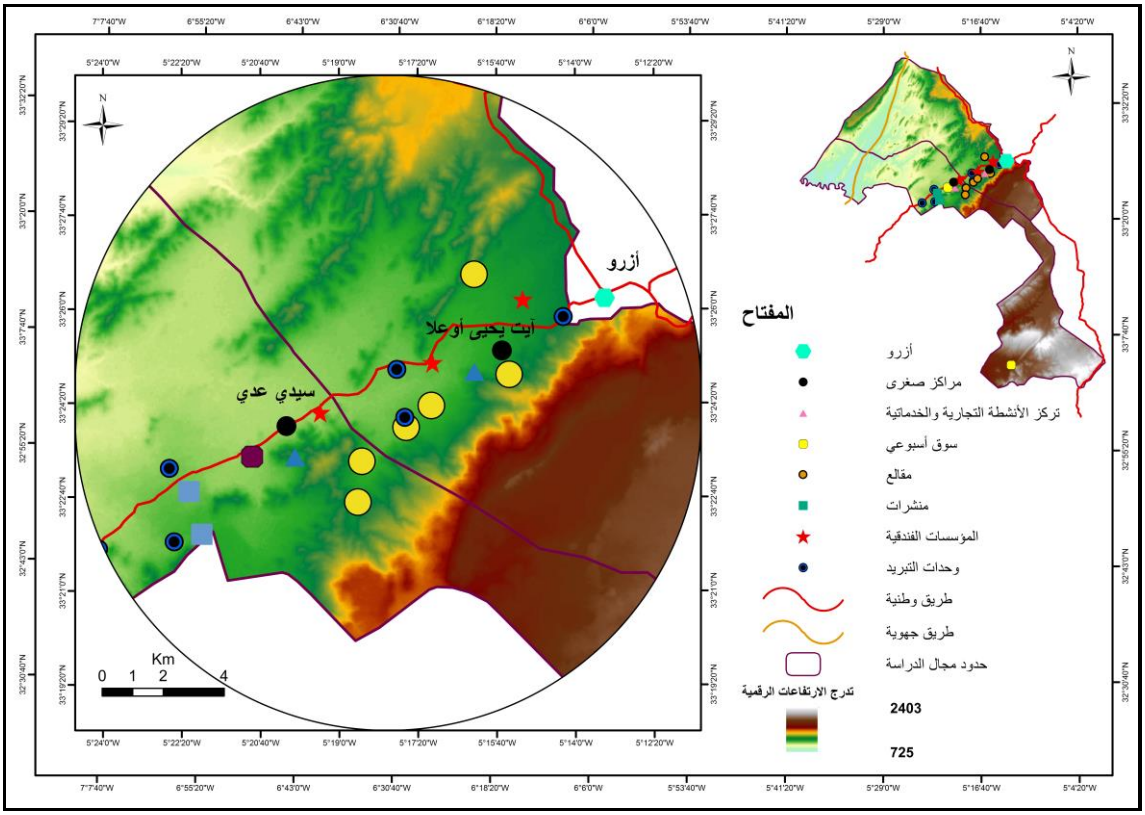

إنجاز: يوسف عاشي بالاعتماد على نتائج العمل الميداني

5. مساهمة الأنشطة غير الفلاحية في التنمية الترابية

1.5 تشكل الأنشطة الاقتصادية مدخلا لتحقيق التنمية الترابية بالعالم القروي

تعتبر التنمية إحدى المفاهيم التي يسعى الجميع تنزيلها الى الملموس وتشكل الهدف الأسمى لكل التوجهات ولإستراتيجيات كحل للمشاكل التي تتخبط فيها البشرية. وتشير سياسات التنمية في العقود الأخيرة إلى النهج التشاركي، وإلى أولويات العمل على المستوى المحلي (LAZAREV, G., 2014, p: 326) . فإذا كان خطاب المؤسسات والفاعلين الدوليين اليوم يركز في توجيهاته وتدخلاته على مفهوم التنمية والفاعل الترابي المحلي وأهميتها في عمليات تحقيق النمو الاقتصادي في مختلف مجتمعات العالم، فهل فعلا يمكن أن نتحدث عن تنمية حقيقية بمجتمعات اليوم؟ (ورد عبد المالك، 2012، ص: 15) فاتساع دائرة الاهتمام بقضايا التنمية المحلية وإعداد التراب الوطني، هو تعبير عن حركية قوية يشهدها المجتمع المغربي عموديا وأفقيا، دافعها الأساسي التأسيس لمغرب قوي ديموقراطيا واجتماعيا وسياسيا، متوازن مجاليا، لتأهيله للصمود في وجه تحديات العولمة (موساوي امحمد، 2006، ص: 4)؛ لكن التحدي القائم اليوم هو إدخال هذه المفاهيم في الممارسة السياسية (LAZAREV, G., 2014, p: 326) .

كما أن التنمية بمعنى الرفاه العام، هي مشكل سياسي بالأساس (أقفلي حماني، 2002، ص: 12) مرتبط بإرادة حقيقية للفاعلين الترابيين المحليين وليس بحتميات جغرافية، فالعديد من الجماعات الترابية بمؤهلاتها وطاقاتها تعد من أغنى الجماعات، لكنها راكمت تخلفا واضحا على المستوى السوسيواقتصادي، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعف الممارسة السياسية وما يرافق ذلك من سوء التسيير والتبذير والتهميش وسوء استغلال الموارد المتوفرة.

إن نمط التنمية الذي عرفه المغرب خلال العقود السالفة لم يتميز بالاستدامة، حيث نتج عنها إهدار للثروات الطبيعية واستنزاف للفرشاة المائية وتلويثها (عزيوي سعيد والعرجي حسن، 2008، ص: 87) وتردي وضعية المجالات الهشة. وفي هذا السياق فإن محدودية وعجز الأنشطة الفلاحية على استيعاب اليد العاملة، وتنشيط الاقتصاد الجبلي واستمرار مسلسل الهجرة القروية في ظل الوضعية الراهنة للمجالات الجبلية المتسمة بتأخرها على مستوى تزودها بالتجهيزات الأساسية والبنيات التحتية والمرافق العمومية جعل هذه المجالات تراكم إكراهات العزلة والفقر والتهميش، وغير قادرة على الاحتفاظ بسكانها. وفي هذا الإطار فإن مسألة التنمية الترابية بالمجالات الجبلية تقتضي الارتكاز على تعبئة وتثمين الموارد الترابية، من أجل استدامتها وتخفيف الضغط عن الموارد الطبيعية، من خلال المزاوجة بين الأنشطة الفلاحية وغير الفلاحية، خاصة وأن المجالات الجبلية تتميز بإمكانيات هامة لتنمية قطاع الأنشطة غير الفلاحية (مواقع سياحية، تراث مادي ولامادي، مقالع، صناعة خشبية، صناعة تقليدية...)، التي يمكن أن تساهم في تقوية الديناميات الفلاحية، عبر خلق فرص الشغل وإدماج الساكنة المحلية في المنظومة الاقتصادية الجبلية خاصة الشباب القروي الرافضين للعمل الفلاحي والتقليص من الهجرة القروية.

إن تعقد الديناميات التي تعرفها المجالات الجبلية وتعدد التحديات في ظل غياب رؤية واضحة تستشرف المستقبل، أصبح ضروريا نهج سياسات مجالية ترتكز على المشاريع الترابية وعلى آليات تخطيطية محكمة وتدبير معقلن للمجال ينبني على مبادئ الحكامة الجيدة والديموقراطية التشاركية، وذلك لتوفير إطار مجالي ذو قاعدة اقتصادية صلبة وفضاء اجتماعي وبيئي ملائم، قادر على تحقيق تنمية ترابية توافق بين التوزيع المجالي للسكان والأنشطة الاقتصادية، وتوافق بين الحاجيات الحالية وتراعي حاجيات الأجيال المستقبلية. كما أنه لا يمكن النهوض بتنمية الجماعات الترابية الجبلية خارج سياسة إعداد التراب الوطني، فهذه الوضعية تقتضي تكييف التوجه التنموي الجديد مع معطيات الواقع الطبيعية والبشرية، ومع الإمكانات المادية واللامادية التي يوفرها المجال الترابي، وهو إطار لإعادة ترتيب علاقة الساكنة المحلية بالفاعلين الترابيين في ظل ديمقراطية تشاركية، قادرة على الإسهام بتصورات علمية وعملية لبلورة استراتيجيات حقيقية لتدبير المجال بشكل معقلن، للتقليص من اختلالاته وتبايناته وصيانة موارده الترابية والرفع من جاذبيته وتنافسيته، وأيضا لإعطاء الهوية للتراب وجعله رئدا ونموذجا تنمويا، لأن أزمة المجالات الجبلية تبقى رهينة بمدى الاعتماد على مقاربات تنموية شمولية ومتعددة الأبعاد تنطلق من عمق المجال وتراعي خصوصياته المحلية.

6. خاتمة:

حاولنا في هذا المقال أن نسلط الضوء على واقع الأنشطة غير الفلاحية ومسألة التنمية الترابية بجماعتي سيدي المخفي وتكريكرة، وتوصلنا من خلال تحليل هذه العناصر إلى الخلاصات التالية:

- يتميز مجال الدراسة بموقعه الإستراتيجي المنفتح على المحاور الطرقية وعلى الشبكة الحضرية لدير الأطلس المتوسط والسايس، وبتنوع وغنى موارده الترابية ؛
- المزاوجة بين الأنشطة الفلاحية والأنشطة غير الفلاحية كجواب وبديل اقتصادي واجتماعي على الأوضاع الراهنة المتسمة بانفتاح المجالات الجبلية وبنمو المراكز الصغرى وبعجز الأنشطة الفلاحية وعدم قدرتها على استيعاب اليد العاملة المتوفرة؛
- إن تثمين وتعبئة الموارد الترابية المرتبطة بالأنشطة غير الفلاحية سيساهم في دينامية المنظومة الاقتصادية الجبلية وتخفيف الضغط على الموارد الطبيعية؛

- ضرورة الاهتمام المجالات الجبلية من خلال تزويدها بالتجهيزات الأساسية والخدمات الاجتماعية لتحويلها من مجال طارد إلى مجال يضمن نوعا من الاستقرار للساكنة في أفق جعلها مجالا تنافسيا ومستقطبا؛
- ضرورة النهوض بالوضعية الاقتصادية للفلاحين بدون أرض والعمل على إدماجهم في المنظومة السوسيوقروية كفاعلين منتجين وليس كيد عاملة فقط للحد من معاناتهم؛
- تشجيع الابتكار حول المجالات الجبلية والعالم القروي؛

7. قائمة المراجع:

- الكتمور حسن، التحولات المجالية وتأثيرها على الدينامية الحالية بحوض تكريكرة (الأطلس المتوسط) ، بحث لنيل الدكتوراه في الآداب، تخصص جغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، 2004.
- موساوي امحمد، تحولات العالم القروي ورهانات التنمية المحلية ببلاد المنزل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب، القنيطرة، 2004.
- الناصري محمد ، الجبال المغربية: مركزيتها- هامشيتها- تنميتها، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2003.
- بنسي حميد، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية في المناطق الجبلية، حالة جماعتي بن صميم وتكريكرة "إقليم إفران"، بحث لنيل الدكتوراه في الآداب، تخصص جغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب، القنيطرة، 2015.
- بوهلال عبد السلام، الإنسان، المجال والتنمية بجماعة عبد الغاية السواحل "إقليم الحسيمة"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب، القنيطرة، 2006.
- جنان لحسن وعمرو إديل، الجهة الوسطى الجنوبية: إشكال التهيئة الزراعية في بوادي الأطلس المتوسط، ورد في: أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988.
- جنان لحسن، العالم القروي في البحث الجغرافي، ورد في: مجلة دفاتر جغرافية، العدد 7، منشورات كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، 2010.
- BEAUDET, G., Les Béni Mguild du nord, Etude Géographique de l'évolution récente d'une confédération Semi-Nomade, In : RGM, N°15, 1969.
- Fay, G., Collectivités, Territoires, et Mal développement dans les compagnes marocaines, Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat Série : Essais et recherche, n°73, 2015.
- Jennan, L., La pluriactivité des familles en milieu rural Marocain, Quelle approche ? Quelle interprétation. In développement des systèmes ruraux Chaouia et questions méthodologies pour l'étude de l'espace rural au Maroc ; publication la FLSH Ben M'sik Casablanca. P: 10, 1996.
- Jennen, L., Le Moyen Atlas Central et ses Bordures : Mutations Récentes et dynamiques rurales, Edition Al Jawahir, Fès, 2004.
- KERBOUT. M., la mutation des structures agraires dans les périmètres irrigués du dir moyen atlas septentrional aspects et mécanismes, In : RGM, N°7, Nouvelle Série, p: 96, 1983.

- LAZAREV, G., Ruralité et Changement Social, Etudes Sociologique, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, Série : Essais et Etudes n°64, 2014.
- Martin, J., Le moyen Atlas central, étude géomorphologique, notes et mémoires du service géologique, n° 258 bis, Edition du service géologique du Maroc, Rabat, 1981.
- Qadem, A., Quantification, modélisation et gestion de la ressource en eau dans le bassin versant du Haut Sebou (MAROC), thèse de Doctorat en Géographie, Université Sidi Mohamed ben Abdellah et l'université de Lorraine, 2015.